



تعثر تشكيل الحكومة دليل على

الأزمة السياسية للطبقة السائدة

سبق لنا أن قلنا في مقال سابق أننا نحن الماركسيون "لا نولي أهمية حاسمة لتوالي الحكومات، خاصة عندما يتعلق الأمر بأنظمة ليست الحكومات فيها سوى واجهة شكلية بدون صلاحيات"، إلا أنه يتوجب علينا أن نقدم قراءة لتعثر تشكيل الحكومة بعد مرور أزيد من شهرين على الانتخابات التشريعية، التي جرت يوم 07 شتنبر 2016، وهو ما يعكس مناورات الطبقة السائدة وممثليها السياسيين من أجل اقتسام الكعكة.

مناورات تشكيل الحكومة

بعد ثلاث أيام من إجراء الانتخابات كلف الملك، رئيس الحكومة المنتهية ولايته عبد الإله بنكيران، بتشكيل الحكومة بعد أن تصدر حزبه (العدالة والتنمية) هذه الانتخابات بـ 125 مقعد من أصل 395 مقعد، لتستمر المناورات السياسية التي كانت قد انطلقت أثناء الحملة الانتخابية من أجل إضعاف حزب العدالة والتنمية، من خلال نشر أخبار الفضائح الجنسية والمالية التي تورط فيها العديد من قادته، وتنظيم مسيرة "ضد أخونة الدولة" في البيضاء، بل وحتى مشاركة أعوان السلطة فعليا في الدعاية ضد لصالح حزب الأصالة والمعاصرة، خاصة في البيودي.

سرعان ما ابدى إسلامي العدالة والتنمية فرحتهم بالنصر الذي حققوه هم وحلفاءهم في الحكومة المنتهية ولايتها حيث حصلوا جميعا على 201 مقعد من أصل 395 مما يمنح لهم فرصة أكبر في تشكيل الحكومة، وموقعا مريحا للإسلاميين في هذه الحكومة نظرا لتراجع مقاعد حلفائها وارتفاع مقاعدها، إلا أن العدالة والتنمية قرر أن يعزز صفوفه بالتحالف مع حزب الاستقلال (46 مقعد) ليكون له إمكانية تمرير مختلف القوانين بالبرلمان التي تتطلب تصويتا أكبر من الأغلبية النسبية.

سرعان ما أعلن حزب الاستقلال وحزب التقدم والاشتراكية عن التحاقهما بالحكومة، وهو الشيء الذي رد عليه حزب التجمع الوطني للأحرار (الشريك القوي في الحكومة السابقة) بالتحالف مع أحزاب الحركة الشعبية والاتحاد الدستوري ليتفاوضوا من موقع قوة مع رئيس الحكومة باعتبار توفرهما على 83 مقعدا مشترطين إبعاد حزب الاستقلال من الحكومة.

التممة في الصفحة: 02

الإفئامية:

ها قد انتهت سنة 2016، ودخلنا سنة جديدة. وبينما يتبادل العمال والفلاحون والشباب الكادح فيما بينهم التمنيات الصادقة بأن تكون السنة الجديدة أفضل من سابقتها، يشد مصاصو دماء البشر الرأسماليون (أصحاب الأبنك والشركات الكبرى والمضاربون وخدامهم في السياسيين والعسكريين...) أسلحتهم لكي يواصلوا اعتصار العمال والشعوب المقهورة والبيئة، لاستخلاص أكبر قدر من الأرباح.

الإمبريالية الأمريكية لوحدها، ألقنت خلال سنة 2016، ما يزيد عن 26.171 قنبلة على العراق وسوريا وأفغانستان وليبيا واليمن والصومال وباكستان، أي ما يساوي 72 قنبلة في اليوم، أو 03 قنابل كل ساعة!!! مخلفة الآلاف من القتلى والجرحى والخراب الشديد للبنية التحتية والتلوث الرهيب وغيرها من المآسي.

النظام القائم بالمغرب بدوره ما زال مستمرا في الحرب العدوانية على الشعب اليمني، التي خلفت أزيد من 10.000 قتيل، حسب الأمم المتحدة، وخاصة بين الأطفال، الذين يموت من بينهم طفل كل 10 دقائق، حسب اليونيسيف.

كما يشن حربا مشابهة في الداخل بواسطة سياسة التقشف والتفجير والاستغلال والقمع. كانت اليونيسيف قد أكدت وفاة 20 ألف طفل مغربي بسبب "أمراض الفقر" خلال 2015، وهو الوضع الذي لم يتحسن سنة 2016.

وبينما يعتبر ملك المغرب وحاشيته من بين أثري أثرياء العالم، فإن ربع الأطفال المغاربة (23%) مصابون بالتقزم، وواحد من بين كل عشرة أطفال يعاني من نقص الوزن... كما تسحق البطالة 20% من الكادحين على الصعيد الوطني و32% من الشباب.

هذا هو الواقع الذي تفرضه علينا الرأسمالية واقتصاد السوق الحرة، محليا وعلى الصعيد العالمي، الاستغلال والبطالة والفقر والحروب والتلوث، أو بجملة واحدة: **الرعب بلا نهاية**. وهذا ما تعدنا به خلال السنة الجديدة: 2017.

لكن سنة 2017 هي كذلك الذكرى المئوية لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى. الثورة التي كانت أول محاولة تقوم بها الطبقة العاملة للقضاء على النظام الرأسمالي وبناء مجتمع الاشتراكية والحرية. وبالتالي فبينما هم يستعدون للمزيد من التخريب والتدمير وتحميلنا تبعات أزمة نظامهم، علينا نحن العمال والفلاحون والشباب الثوري أن نستعد بدورنا لكي نمنعهم بالثورة الاشتراكية، ونواصل الطريق الذي فتحه عمال روسيا بقيادة لينين وتروتسكي قبل قرن من الزمان، علينا أن نرفع راية الاشتراكية عاليا ونجعل من سنة 2017 محطة نوعية في طريق بناء الحزب الثوري الذي سيقود للقضاء على الرأسمالية.

نقرأون أيضا في هذا العدد:

- أربعينية محسن فكري، محطة للنضال واستخلاص الدروس، ص: 03
- الحراك الثوري في الحسيمة - النظام يطور أساليبه ليهزمنا، فلنطور أساليبنا لنهزمه، ص: 05
- 2016: موت الليبرالية، ص: 07
- اعتداء برلين - حصاد العواصف، ص: 11
- بيان التيار الماركسي الأممي حول وفاة فيدل كاسترو، ص: الأخيرة
- مقتطفات من البرنامج الانتقالي، ص: الأخيرة

تعثر تشكيل الحكومة

دليل على الأزمة السياسية للطبقة السائدة

بإجراءات أخرى أكثر شؤماً، في حالة تمكنه من تشكيل الحكومة.

ورغم القيود والعراقيل التي تقوم بها الأحزاب المنافسة من أجل عرقلة العدالة والتنمية من تشكيل الحكومة، فليس الهدف منها هو معارضة البرنامج النقشفي للحكومة، إنما هو تنافس على اقتسام الكعكة بين وصولي أحزاب النظام.

وكيفما كانت الحكومة فإنها ستطبق برنامجا اقتصاديا مفروضا من طرف صندوق النقد الدولي، ستكون حكومة متحكم فيها بشدة من قبل القصر وكبار رجال الأعمال والمصرفيين لتنفيذ سياسة تخدم مصالحهم. المحاور الأساسية لهذه السياسة هي الحفاظ على العمل الهش وتجميد الأجور وفرض الاقتطاعات وتقليص الإنفاق الاجتماعي؛ وفرض تشريعات رجعية للحد من الحقوق الديمقراطية لاحتواء الاحتجاجات الاجتماعية.

إلا أن النظام خلالها لن يكون له "معارضة برلمانية" ذات قاعدة اجتماعية، فإذا استثنينا حزب العدالة والتنمية، فكل الأحزاب لا تمتلك قاعدة، واعتمدت على "الأعيان" للوصول إلى البرلمان، ولن تتمكن فيدرالية اليسار من لعب دور معارضة حقيقية نظرا لضيق أفقها الإصلاحي، واعتمادها على خطاب نخبوي لا يلامس اهتمامات ومطالب الطبقة العاملة، وغياب برنامج اشتراكي يمكنها من الوقوف في وجهه سياسة التقشف.

ماذا بعد؟

استمرار تطبيق سياسة تقشفية معادية للجماهير، وعدم وجود معارضة متحكم فيها تستطيع أن تلعب صمام الأمان، تجعل الظروف مواتية لصعود حركة احتجاجية قوية، وسترد الطبقة العاملة وعموم الكادحين، من طلاب وفلاحين فقراء وعاطلين، بقوة سواء بواسطة ومن خلال أجهزتها التقليدية من نقابات وإطارات أو من خارجها في إطار تنسيقيات تتكاثر بتكاثر الفئات المستهدفة من طرف الحكومة.

لكن كل هذه النضالات التي ستفجر مستقبلا ستضل بدون نتيجة مثل بخار بدون مكثف، وذلك لغياب حزب ثوري يوحد نضالات الطبقة العاملة وعموم الكادحين في هجوم موحد عارم يكون قادرا ليس فقط على إسقاط نظام الطفيليات ومصاصي دماء البشر، بل أيضا على تطهير البلد من كل فقر وكل اضطهاد وكل تخلف. لكن هذا بالضبط هو ما ينقص وهذا بالضبط ما يجب على العمال الطليعيين والشباب الثوري أن يركزوا على بناءه.

إن كنت تتفق وتتفقين مع أفكارنا التحق والتحق بنا في النضال من أجل بناء تلك القيادة، التحقوا بنا في رابطة العمل الشيوعي، الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي.

المغرب ليست مجرد جهاز يسود ويحكم يمكن أن نحوله إلى يسود دون أن يحكم، إنه قوة اقتصادية تسيطر على أغلبية المناجم وأغلبية الرأسمال المالي وأغلبية الأراضي الخصبة الخ، وبالتالي فإن تحويلها إلى مجرد سلطة شكلية تبقى فكرة خيالية إذا لم يتم مصادرة أملاكها ووضعها تحت الرقابة الديمقراطية للشعب. ولكي يتم هذا لا بد من موازين قوى أخرى إن تحققت فلن يبقى السقف هو الملكية وإن لم تتوفر فإن سقف الملكية البرلمانية سيكون عاليا جدا... أي أنها في كلتا الحالتين مستحيلة.

وهو ما تحقق تقريبا فعدم تطور الحراك وفتوره أدى إلى أن يصبح سقف الملكية البرلمانية عاليا جدا، حيث بمجرد أن مالت الكفة لصالح النظام بدأ يتراجع على كل التنازلات الصغيرة التي منحها خلال حراك 20 فبراير، سواء في تلك الزيادات الطفيفة التي حققها الموظفون، أو الإجراءات الشكلية التي منحت بواسطة دستور 2011 لرئيس الحكومة، حيث عاد الملك للاحتكار الفج لكل السلطات، وعدم احتكار الشكليات التي منحها في 2011.

آفاق الحكومة المقبلة

يعتبر كثير من أتباع حزب العدالة والتنمية أن سبب نهج حكومتهم لسياسة تقشفية معادية للجماهير، بكون "التحكم" و"الدولة العميقة" تقييد "برامجهم" الإصلاحية، وكذا يتبعهم في نفس الموال بعض "الديمقراطيين جدا" بكون حزب الأصالة والمعاصرة حزب الدولة، وهو يمثل التحكم، والدليل هو الدعاية ضد العدالة والتنمية خلال الانتخابات البرلمانية الأخيرة لصالح حزب الأصالة والمعاصرة، خاصة في البوادي.

لكن ما لا يقوله هؤلاء السادة هو أن حزب العدالة والتنمية ليس بدوره سوى مسخ خرج من دواليب القصر ووزارة الداخلية. إنه حزب الدولة بامتياز. إن الأب الروحي للحزب ومؤسسه الفعلي (بتوصية من الحسن الثاني وإدريس البصري) هو عبد الكريم الخطيب، الذي احتضن فصيلا من الإسلاميين (حركة الإصلاح والتجديد ورابطة المستقبل الإسلامي) في حزبه الصغير الهامشي "الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية"، وبالتالي فحزب العدالة والتنمية ليس بدوره سوى حزب للقصر، وما يهمنا نحن أكثر هو كونه حزب برجوازي رجعي، مهمته الدفاع عن مصالح الرأسماليين الكبار والطغمة الحاكمة. ويطبق سياسات معادية للطبقة العاملة على جميع المستويات. كما سيواصل السير في نفس طريق العمالة للامبريالية.

لقد قامت الحكومة السابقة التي ترأسها حزب العدالة والتنمية بتطبيق حزمة من السياسات التقشفية الصارمة: الرفع من الأسعار وتجميد الأجور، ضرب صندوق المقاصة، ضرب مجانية التعليم، تقييد حق التوظيف، ويستعد للقيام

تنمة ...

لم يكتف حزب الأحرار بهذا بل انخرط أمينه العام في جولات الملك في الدول الإفريقية فلم يجد حزب العدالة والتنمية من يحاوره بهذا الخصوص، وظهر بنكيران منتصف نونبر وهو يتحدث عن مؤامرة تحاك ضد حزبه؛ ويدين ما وصفه بـ "الانقلاب" و "عرقلة" مسار تشكيل الحكومة فيما بدا وكأنه اعتراف صريح بوصول المشاورات إلى طريق مسدود واتهام للأحزاب المقربة من القصر الملكي بالتورط في إعاقة مسار تشكيل الحكومة.

ماذا يعني هذا؟

لقد عرف المغرب حالة مشابهة سنة 2013 حيث ظل البلد 82 يوما بدون حكومة. وقلنا في مقال على اثر تشكيل حكومة جديدة أنه بالرغم من مرور كل هذا الوقت فإن البلد "تسير مثلما كانت دائما تسير، لا شيء تغير ولا شيء تأثر، فماذا يعني هذا؟ إنه يعني بكل بساطة أن كل هؤلاء السادة والسيدات مجرد طفيليات يستنزفون ثروات الشعب المغربي دون أن يكون لهم أي دور" وهذا ما ينطبق حتى على الحكومات البرجوازية الديمقراطية، حيث أن مركز القرار الحقيقي ليس في يد الحكومة أو الوزراء، ولا هو في يد البرلمان، إنه موجود في مجالس إدارة كبريات الشركات الاحتكارية والأبنك، وقيادات الجيش.

أما في المغرب حيث تمارس الطبقة السائدة حكمها بوقاحة أكبر، عن طريق تركيز السلطات في يد الحاكم الفردي المطلق، فإن الحكومات جميعها ليست سوى أدوات لتأثيث المشهد بينما القرارات الحقيقية في يد القصر. إلا أن القصر يختار بعناية الواجبة والأداة التي يفضل أن يؤثت بها المشهد.

فيعدما أدت العدالة والتنمية مهامها بشكل جيد، على اثر موجة ثورات ما يعرف بالربيع العربي، حيث كلف بتشكيل الحكومة وهو مصحوب بالكثير من الأمان المعسولة والوعود الخلابية. باعتباره "الحزب المعارض"، وترأس أول حكومة تأتي على اثر بعض التنازلات التي قدمها القصر من خلال تعديلات طفيفة على الدستور، وبعض الزيادات في أجور الموظفين.

لكن ومع تراجع موجة الثورات أن الأوان لعودة جميع الدجاجات إلى الخم لكي تضع بيضها.

الملك يسود ويحكم

تعالت العديد من الأصوات التي نادى خلال حراك 20 فبراير تطالب بالملكية البرلمانية، حيث يسود الملك ولا يحكم، وتحييد المؤسسة الملكية من الصراع السياسي، وقد كان موقفنا واضحا حينئذ حيث اعتبرنا أن الملكية في

أربعينية محسن فكري، محطة للنضال واستخلاص الدروس



بتاريخ: 10 دجنبر 2016، كانت الحسيمة محطة لواحدة من أكبر المظاهرات الشعبية التي شهدتها المغرب منذ حراك 20 فبراير، إذ عرفت شوارعها تظاهر عشرات الآلاف من المحتجين، الذين قدموا من مختلف مناطق المغرب، وخاصة من المدن والبلدات والقرى المجاورة، لتخليد الذكرى الأربعينية لاغتيال الشاب محسن فكري، يوم 28 أكتوبر 2016، مسحوقا في حاوية للأزبال، أو ما صار يعرف بقضية "طنح دين مو".

ردد المتظاهرون شعارات قوية ضد "الحكرة" والاستغلال والدكتاتورية والتهميش، وفي مقدمتها شعار الثورتين المصرية والتونسية وحراك عشرين فبراير: "كرامة، حرية، عدالة اجتماعية"، وطالبوا بمحاسبة المسؤولين عن قتل الشاب محسن، معتبرين أن النظام كله هو المسؤول عن الجريمة وليس فقط المنفذين المباشرين للجريمة.

إبداعات المتظاهرين كانت بلا حدود حيث رفع طفل لافتة كتب عليها، بالانجليزية: "مرحبا كوب 22، نحن نحمي البيئة لكننا نسحق البشر"، كما رسم الشباب لوحة ببيكاسو "غريكا" التي تجسد المعاناة والاضطهاد، والتي أثارَت رمزيتها رعب السلطات التي طالبت بإزالتها من الساحة (ساحة الأحرار).

التطور المثير للاهتمام الذي شهدته الحركة هو تبنيها لطرق نضال كفاحية نوعية، فبالإضافة إلى التظاهر والمسيرات، انتقلت الحركة إلى أسلوب الإضراب العام! لقد أغلقت كل الدكاكين والمحلات أبوابها تضامنا واحتجاجا ودعمًا لمطالب الحركة. وعمل سائقو سيارات الأجرة على نقل الوافدين من نواحي الحسيمة بالمجان للوصول إلى ساحة الأحرار.

حراك شعبي أم فتنة؟

بمجرد ما انطلقت الحركة، مباشرة بعد سحق الشاب محسن فكري، وصولا إلى تخليد الذكرى الأربعينية، تجندت وسائل إعلام النظام وكتائبه الإلكترونية ومساعده، الخ لشن حملة ترهيب واسعة النطاق برفع شعار "التحذير من الفتنة"، "إما أن تصمتوا وإما ستكون هناك فتنة، ويتحول المغرب إلى سوريا"، الخ.

لكن كل تلك التهديدات الإجرامية لم تؤد إلى إخافة الجماهير ومنعها من النضال. قدر منظمو الذكرى الأربعينية، والعديد من شهود العيان، عدد المتظاهرين بما بين 60 ألف و80 ألف متظاهر. وقد كان هذا العدد ليكون أكبر بكثير لولا مختلف العراقيل التي قامت بها أجهزة الدولة لمنع التحاق

للجيل الجديد من الشباب رمزية النضال ضد الاستعمار وأعدائه. وهو ما سبق لنا أن قلنا بصدد في مقال سابق:

«ومما زاد في إثارة رعب الطبقة السائدة، رفع العديد من المتظاهرين لعلم جمهورية عبد الكريم الخطابي. لقد عاد شبح الثورة الريفية ضد الاستعمار وعملائه العلويين إلى الحياة على يد أحفاد مولاي محند.

إن رفع راية الجمهورية على يد هؤلاء الشباب ممارسة تقدمية تؤيدها نحن الماركسيون من كل قلوبنا ولا نرى فيها أية نزعة شوفينية، كما يزعم البعض. إنها راية ترمز للنضال ضد الاستعمار والنظام العميل الذي وقّع معه "معاهدة الحماية" وتعاون معه على استعمار المغرب واستغلاله. إنها راية ترمز إلى الرغبة في التحرر من الاضطهاد والرغبة في التغيير والثورة. يشرفنا أن ننتمي إلى ذلك التراث التقدمي ونشكل الاستمرارية النوعية له، من خلال إعطاءه الشعار الوحيد الذي يجعله ممكنا: شعار النضال من أجل الاشتراكية.

فلتسقط كل محاولات تجريم تعاطف الشباب مع التقاليد المشرقة لنضال شعبنا، والقادة العظام لنضاله من أجل الحرية ولتسقط راية الجنرال ليوطي ونظامه ولتحيا راية الثورة».

صمت الإعلام

لعل أبرز ما يمكن تسجيله هو أن حركة بمثل هذه القوة والعمق لم تجد طريقها إلى وسائل الإعلام، لا الرسمية منها ولا التي تسمى نفسها مستقلة، ما عدا بعض المواقع الإلكترونية القليلة التي يشرف عليها نشطاء من الحركة.

المزيد من المتظاهرين، سواء بالمنع المباشر لبعض المتظاهرين أو بواسطة أبقائها الإعلامية بنشر الإشاعات ضد الحراك وترهيب الناس. والجدير بالذكر أن المئات من سكان قرية آيت عبد الله قطعوا أكثر من 35 كيلومتر، مشيا على الأقدام، للالتحاق بالمحطة النضالية.

ولم تكن المرأة المغربية الكادحة بعيدة عن هذا الحراك. فقد شكلت النساء حوالي ثلث المتظاهرين، وهو الرقم الذي يعتبر ضخما جدا بالنظر إلى مختلف الصعوبات والإكراهات التي تواجهها النساء وتمنعهن من المشاركة.

يا له من تضامن شعبي رائع! يا لها من ملحمة عظيمة أخرى تسطرها الجماهير! آلاف المحتجين يطهرون شوارع الحسيمة من تواجد النظام وقواته القمعية ويفرضون عليه الاختباء. ورغم ذلك لم تحدث أية حالة عنف ضد الأشخاص أو الممتلكات، ولم يصب أحد ولو بخدش. كان الشباب هم من ينظمون ويشرفون على الأمن. فلتخرس إذن كل الألسنة التي ترفع شعار الفتنة وخطر الخراب والبلطجة كلما نهضت الجماهير إلى النضال. إن الخراب الحقيقي هو الذي تتسبب فيه الطبقة الحاكمة ودولتها. وسبب الفتنة هو النظام الدكتاتوري القائم.

راية الثورة عوض راية ليوطي

قال مناضل ماركسي، مشارك في الحراك: «لم يرفع أحد راية ليوطي*، الرايات التي رفعت هي فقط راية الأمازيغية وراية الجمهورية الريفية، إضافة إلى صور تشي غيفارا». إن هذا تطور نوعي، فراية الجمهورية الريفية تحمل بالنسبة



الوعد بإصلاحات دستورية والديمقراطية والمن والسلوى، كما اضطر في مناسبة أخرى إلى الاعتذار والتساؤل عن أين الثروة وغيرها من المنارات.

الأزمة هي أزمة القيادة الثورية

السبب وراء تبديد جهود الجماهير ونضالات الشباب الثورية هو غياب التنظيم والبرنامج الثوري. بدونها لا يمكن للجماهير أن تبقى في الشوارع إلى الأبد. لا يمكن للعمال والفلاحين أن "يحترفوا" المظاهرات والمسيرات. إن التاريخ يعلمنا أن الجماهير قادرة على تقديم أعظم التضحيات عندما يكون لديها أفق واضح تناضل من أجله، لكنها لا يمكن أن تبقى في حالة حراك وغيان إلى ما لا نهاية. وما نعرفه نحن الماركسيون يعرفه النظام القائم ومنظروه أيضا، وهذا هو ما يراهنون عليه. إنهم عاجزون الآن عن التدخل لسحقها، خوفا من التسبب في زيادة اشتعالها، لكنهم يراهنون على عامل الوقت وعلى استنزاف الحركة لقواها قبل أن يتدخلوا في النهاية لكي يقضوا عليها، أو على ما تبقى منها، بالقمع.

لذا يجب علينا أيها الشباب الثوري أن نعمل بشكل جدي على مسألة بناء القيادة الثورية باعتبارها المهمة الأهم والأكثر أهمية، فالأزمة، كما قال تروتسكي بحق، هي أزمة القيادة الثورية.

هذه هي المهمة التي وضعناها على كاهلنا نحن الماركسيون، رابطة العمل الشيوعي، الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي، فإن كنتم تتفوقون مع أفكارنا التحقوا بنا في هذا النضال.

هوامش:

*: في إشارة إلى العلم الرسمي للملكية بالمغرب، والذي كان بالفعل المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي هو من جعل منه العلم الرسمي للمغرب.

الشعبية، خاصة إذا ما تم استخلاصها بوعي وحفظها وتصنيفها لكي تثير طريق التحركات المستقبلية. كما أن هؤلاء الشباب، وتلك الجماهير نساء ورجالا، الذين شاركوا في هذا الحراك وقادوه لن يعودوا إلى منازلهم ومدارسهم وأماكن عملهم بنفس مستوى وعي وأفكار ما قبل مشاركتهم في هذا الحراك. لا بد أن مياها كثيرة قد مرت تحت الجسر.

لكن هذا الحراك في نفس الآن محكوم بأن تخبو جذوته تدريجيا إلى أن ينطفأ. وذلك بسبب غياب القيادة الثورية القادرة على تقديم برنامج علمي واضح للحراك لكي يصل إلى غايته. لعل أبرز درس قدمته السنوات الخمس الأخيرة للشباب الثوري، سواء في المغرب أو في تونس أو في مصر، الخ، هو أن أعظم التحركات الثورية وأروع الملاحم الشعبية تضيق هباء دون أن تحقق أهدافها في حالة غياب التنظيم والبرنامج والبدليل.

17 مليون متظاهر في مصر خرجوا إلى الشوارع دفعة واحدة، في أكبر مسيرات عرفها التاريخ على الإطلاق، يوم 30 يونيو. نفس الشيء في تونس، كما أن ملايين الشباب والعمال المغاربة تظاهروا لشهور طويلة في شوارع مختلف مدن المغرب خلال حراك 20 فبراير، لكن كل تلك التضحيات العظيمة ضاعت بدون أن تحقق النصر. هل كان ذلك بسبب غياب الكفاحية عند الجماهير؟ إن مجرد قول ذلك هو إهانة للجماهير وللحقيقة وللتاريخ. لقد قدمت الجماهير كل ما يمكن أن تقدمه في تحركات ثورية كان بإمكانها أن تسقط ليس نظاما واحدا بل عدة أنظمة. هل كان ذلك بسبب قوة النظام؟ كلا على الإطلاق، إن النظام القائم بالمغرب ضعيف ومرعوب ويعرف ذلك. وبمجرد ما انطلق الحراك اختفت قوى القمع من الشوارع واضطر الملك إلى الخروج بشكل مذل لتقديم

لكن هذا التعظيم لوحده دليل على قوة الحركة ومدى الرعب الذي سببته للنظام القائم. إنه يعلم بعجزه عن إخمادها بالقمع، ولا يريد أن يدخل معها، في الوقت الحالي، في مواجهة قد تؤدي إلى المزيد من امتدادها وتجذرها، لذا فهو يعمل على إحكام الحصار الإعلامي عليها.

فلنكن نحن الإعلام البديل، فلنعمل على تشكيل لجان للإعلام والتواصل، من بين صفوف نفس الشباب المشاركين في الحراك، تكتب التقارير عن أخبار الحراك ومطالبه وتكسر جدا الصمت بالحقيقة والكلمة الحرة. وفي هذا الصدد إعلامنا نحن الماركسيون سواء الإلكتروني (www.marxy.com) أو الجريدة (جريدة الثورة) رهن إشارة الحراك ومناضلي الحراك.

"ستنسى أم ستكون لها عواقب؟"

نظم أحد المواقع الإلكترونية (النابير) استطلاعاً مثيراً للاهتمام حول مستقبل الحراك، حيث طرح السؤال التالي: هل ستكون قضية محسن فكري مثل سابقاتها وتنتسى وتطوى، كما طويت قضية "فاتحة" وقضايا أخرى أم سيكون لها عواقب وتبعات وخيمة؟

بينما المقال قيد الطبع وصل مجموع من صوتوا 790، قال 450 من بينهم (أي 57%) إنها قضية ستنتسى، بينما قال 340 (أي 43%) إنه سيكون لها عواقب وتبعات وخيمة.

من وجهة نظرنا نحن الماركسيون، كلا الموقنين صحيحين بنفس القدر. فالحراك الحالي ستكون له بالضرورة تبعات. يعلمنا الجدل أن لا شيء يختفي بشكل كامل، وأن كل شيء يتحول، ليعود إلى الوجود مرة أخرى من نقطة أعلى. وعليه فإن هذا الحراك لن يختفي كما لو أنه لم يكن. فذلك مستحيل. دروسه ستترام في الذاكرة

الحراك الثوري في الحسيمة

النظام يطور أساليبه ليهزمننا، فلنطور أساليبنا لنهزمه



المنعطف

كانت ليلة الأربعاء- الخميس، 04- 05 يناير 2017، محطة فارقة في مسار نضال الجماهير الشعبية بالحسيمة. إذ للمرة الأولى منذ انطلاق الاحتجاج على خلفية قتل الشاب محسن فكري، يأتي التدخل القمعي ضد الحراك، بعد فشل محاولات عدة للمحاصرة والتجسيم ونشر الإشاعات وتهديد المناضلين بالقتل والسجن. كان هذا هو الهجوم الأول لكنه بالتأكيد لن يكون الأخير.

سبق لنا أن قلنا في مقالينا السابقة: سينتظر النظام استنزاف الحركة لقواها وتتاقص قاعدتها الجماهيرية لكي يشن حملته النهائية عليها. ليس تردده في قمع الحراك راجعا لنزعة ديمقراطية أصابته فجأة، بل فقط لخوفه من أن يتسبب القمع في إشعال فتيل حركة أكبر. لكنه رغم ذلك سيستمر في تحيين الفرصة للانقضاض على الحركة والانتقام منها.

وذلك ما حدث، إذ بمجرد ما ظن أن الحركة صارت نخوية وأن الجماهير قد انفضت عنها، جاء تحت جناح الليل لكي ينفذ جريمته بسفك دماء المتظاهرين السلميين وتكسير عظام المحتجين.

بعد أن تم تسييج ساحة الشهداء (ساحة أطلق عليها المحتجون اسم الشهداء تخليداً لذكرى الشباب الخمسة الذين أحرقتهم السلطة في أحد البنوك يوم 20 فبراير 2011) وسط المدينة، والتي تعتبر مركز تجمع وانطلاق الاحتجاج، بالمواع الحديدة واحتلالها بالخيام، أطلق النشطاء النداء للالتحاق بالساحة من أجل تحصينها ومنع العسكرية، بعدما تم تطويق الساحة ومداخلها بآليات كبيرة (شاحنات ضخ المياه) وعربات وسيارات محملة بقوات التدخل السريع.

لتبرير هذا الاستفزاز أطلقت السلطة إشاعة عن عزمها تنظيم معرض للصناعة التقليدية بمناسبة رأس السنة الأمازيغية، وهو الخبر الذي كذبه المدير الجهوي لغرفة الصناعة التقليدية لجهة طنجة-تطوان-الحسيمة والذي أكد أنه "ليست هناك أية برمجة لمعرض بمدينة الحسيمة".

استجابة لنداء النزول للساحة والاحتجاج، عرفت ساحة الشهداء منذ الساعة السادسة مساءً، من يوم الأربعاء، تنظيم حلقيات نقاش موسعة من أجل اقتراح الأشكال النضالية المناسبة للرد على خطوة النظام التصعيدية لكبح نضالات الجماهير بالمدينة.

كانت هناك اقتراحات عدة من بينها إقامة اعتصام ليلي من أجل ثني السلطة عن قرارها وطردها من الساحة، خاصة بعد اكتشاف زيف إشاعة "معرض الصناعة التقليدية". واستمرت الوفود في التقاطر حيث انطلقت مسيرات عفوية من أطراف المدينة متجهة صوب ساحة الاحتجاج.

ووأد الحراك، أدى إلى تعزيز روح الإصرار عند المحتجين وتعميم التضامن معهم. إن الحركة الثورية تحتاج أحيانا لسوط الرجعية لكي تتقدم إلى الأمام!

بمجرد ما انتشر خبر قمع وفض الاعتصام شهدت كل من إمزورن بوكديرن، بني بوغياش، بل حتى مارتيل وهي البعيدة عن الحسيمة بمئات الكيلومترات، وقفات ليلية تضامنية واستنكارية، وفي نفس الليلة احتج مناضلو الإتحاد الوطني لطلبة المغرب، في الأحياء الجامعية في كل من وجدة وفاس والقنيطرة، وفي تطوان سجل طلاب مدرسة تكوين المعلمين وقفة تضامنية واستنكارية. هذا ما كان يخافه النظام: هاته الهبة الشعبية وحملة التضامن الأنية ولو بدون سابق تخطيط أو تنظيم.

بل إن حركة التضامن امتدت لتصل إلى العمال المغاربة المهاجرين في العديد من البلدان الأوروبية، حيث تم تنظيم العديد من الوقفات التضامنية في هولندا وبلجيكا وإسبانيا، وغيرها. ومع كل ذلك فإن أسوأ أيام الطبقة الحاكمة ما زالت لم تأت بعد.

الإضراب العام

لقد كان أبرز رد فعل من طرف السكان هو تنظيم إضراب عام، عرف نجاحا باهرا. يعتبر أسلوب الإضراب العام خطوة نوعية إلى الأمام، في منتهى الأهمية. إن دوره هو جعل الجماهير تدرك ذاتها باعتبارها قوة اجتماعية حية. بفضلها تكتسب الإحساس بقوتها ووحدة مصالحها. وبفضلها يتمكن المناضلون الطليعيون من الالتقاء مع أوسع فئات الجماهير والنقاش معها وتوعيتها والاستفادة منها. بفضلها تفهم الجماهير أنه عندما تقرر ذراعها القويتان أن تتوقف فلا يمكن لعجلة

لقد كانت ساحة الشهداء، طيلة مساء يوم الأربعاء، قبلة لطر في الصراع: الجماهير المحتجة والغاضبة من جهة، وقوى القمع بكل أشكالها ومختلف تلاوينها السرية والعلنية من جهة أخرى. استمر الوضع هكذا إلى حدود الساعة 12 ليلا، وبعدها قامت السلطات بتخفيض صبيب الإنترنت حتى لا يقوم المحتجون بالنقل المباشر لأشكال الاحتجاج والنقاش بالساحة، على مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية، ولقطع التفاعل والتوثيق لجريمة فض الاعتصام السلمي الجماهيري بالقوة.

بعد ذلك تدخلت قوات القمع مستعملة السيارات والشاحنات وتم إخلاء الساحة بالهراوات ومطاردة المعتصمين في شوارع المدينة من طرف بوليس بالزي "الرسمي" والمدني. كان التدخل القمعي في حق الجماهير المناهية بالسلمية والكرامة عنيفا وقد خلف عددا كبيرا من المصابين، استعصى على الجمعية المغربية لحقوق الإنسان عدهم، حسب ما صرحت به زهرة قوبيع، ممثلة الجمعية المغربية بالحسيمة، لوكالة الأنباء الفرنسية حيث قالت: «عدد المصابين غير معروف لأن الناس تتجنب الذهاب إلى المستشفى مخافة الاعتقال».

حصان الثورة يحتاج أحيانا لسوط الرجعية لكي يتقدم

كان الهدف من وراء هذه الغارة الغادرة السريعة العنيفة، اجتثاث الحركة وتشتيت صفوفها، وغرس الرعب في قلوب المحتجين. أو على الأقل قياس عمقها وحجم قواتها الاحتياطية ومدى استعدادية الشباب الثوري القائد للحراك، من أجل بناء تكتيكاته المستقبلية.

لكن لا بد أنه تلقى صفعه لم يكن ينتظرها. فعوض أن يؤدي القمع إلى إرهاب المحتجين



سيدعو الجماهير إلى تنظيم نفسها في مجالس الأحياء وأماكن العمل، والتنسيق بينها على صعيد المدينة والإقليم، في مجلس منتخب بشكل ديمقراطي من طرف الجماهير. كان سيدعو إلى تعميم التجربة على كل ربوع البلد. كان سيدفع النقابات العمالية إلى القيام بدورها الطبيعي الذي هو التضامن مع الحركة، والدعوة إلى إضراب عام وطني حتى تحقيق كل مطالب الحركة، محليا ووطنيا.

ما كان للنظام الدكتاتوري أن يصمد طويلا. ولن يكون في إمكان قوى الردة الرجعية أن تجد الوقت لتنفيذ تهديداتها "اصمتوا وتقبلوا السحق بخنوع، وإلا سنشعلها فتنة ونحول المغرب إلى سوريا أخرى". لا توجد قوة يمكنها أن تهدد الطبقة العاملة عندما تكون منظمة وواعية. كانت الطبقة العاملة ستحسم الصراع بأقل ما يمكن من التضحيات وتقطع دابر كل القوى التي تريد الفتنة من قوى إسلامية وغيرها.

ثم تصوروا لو أن التضامن الذي تلقته الحركة في بلدان أخرى، وخاصة من العمال المغاربة في أوروبا، كان منظما في إطار منظمة أممية ماركسية ثورية، ماذا كان سيحدث! كان جيش البروليتاريا العالمي سيفق صفا واحدا متضامنا مع الشباب الثوري والطبقة العاملة المغربية، إذ ذلك لن تكون هناك قوة قادرة على الوقوف في وجههم. كان الحراك سيكسب زخما هائلا وكان بدوره سيدعم للحراك الثوري العالمي رافدا يعني نهر الثورة العالمية العظيم.

إننا في التيار الماركسي الأممي نعمل على بناء ذلك الحزب البروليتاري الثوري العالمي، ونحن في رابطة العمل الشيوعي، الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي نعمل على بناء الحزب البروليتاري الثوري المغربي، فإن كنت متفقا مع أفكارنا التحق بنا في هذا النضال من أجل الثورة الاشتراكية في بلدنا ومنطقتنا والعالم.

هوامش:

[1] الآن وودز: البلشفية طريق الثورة

عند الجماهير وتعبير فعلا عن أشد مطالبها إلحاحا كلما كانت الجماهير أكثر تشبثا بها وأكثر اقتناعا بالنضال من أجل فرضها.

تسود الحراك عموما تقاليد نقاش ديمقراطي مكن الحركة من صياغة مجموعة من المطالب على رأسها محاسبة المسؤولين عن قتل محسن فكري إضافة إلى تشغيل الشباب العاطلين ورفع التهميش عن المنطقة، وما إلى ذلك. إنها مطالب عادلة ومشروعة ننبأها نحن الماركسيون بشكل مبدئي ومطلق.

إلا أنه علينا أن نوضح ما يلي: إنها مطالب لا يمكن تحقيقها فعلا في ظل النظام الرأسمالي الدكتاتوري القائم. في ظل النظام الرأسمالي الدكتاتوري القائم وصلت نسبة البطالة على الصعيد الوطني إلى 20% لجميع الفئات و32% بين الشباب. في ظل النظام القائم وصلت المديونية 81%. و15% من السكان يعيشون الفقر، بينما 25% من السكان مهددون بالفقر في أي لحظة. وتقريبا ربع الأطفال المغاربة (23%) مصابون بالتقزم، وواحد من بين كل عشرة أطفال يعاني من نقص الوزن؛ نسبة الأطباء لا تتجاوز 6.2 لكل 10.000 نسمة. وطفل من بين كل ثلاثة أطفال في سن ما بين 9 إلى 15 سنة يوجد خارج المدرسة... هذا هو ما يمكن للنظام القائم أن يقدمه: الفقر والجوع والتهميش والاستغلال والقمع والتخلف، ولا شيء غير هذا.

كما انه في ظل أزمة الرأسمالية عالميا ومحليا، الأزمة الأعمق في تاريخ الرأسمالية، ليس من الممكن الرهان على تحقيق إصلاحات جديدة دائمة وعميقة في ظل نفس نمط الإنتاج الحالي، الذي ينتج البطالة والاستغلال والتهميش والقمع. لا وجود لأي حل في ظل الرأسمالية، إن الرأسمالية هي المشكل. الحل الحقيقي الوحيد الممكن هو النضال من أجل إسقاط النظام الرأسمالي القائم، وبناء الاشتراكية.

فقط تصوروا لو كنا نتوفر الآن على حزب عمالي ماركسي قوي، ماذا كان سيحدث! كان

أن تدور أو دكان أن يفتح أو ثروة أن تنتج. فيقرارها هي وليس قرار الرأسماليين والدولة، يتوقف كل شيء، فيبدو واضحا من يمتلك السلطة الحقيقية، ومن هم مجرد طفيليات.

لكن للإضراب العام حدودا لا يمكنه تجاوزها. وكما سبق لآلان وودز أن شرح: «يمكن للإضراب العام، في ظل ظروف معينة، أن يؤدي إلى فرض تنازلات جدية على الطبقة الحاكمة... طرح الإضراب العام مسألة السلطة، لكن لم يكن قادرا، في حد ذاته، على حلها. لذلك كان من الضروري أن تتوفر الحركة على حزب ثوري مستعد ليضع على كاهله المهام الأكثر تقدما» [1].

ما العمل لتطوير الحركة؟

تؤكد هذه التجربة مرة أخرى أن النظام القائم نظام دكتاتوري هجمي، لا يتورع عن القتل والطحن والحرق وكسر العظام في حق أبناء الشعب الكادحين، تؤكد مرة أخرى أن بقاءه يشكل خطرا على أرواح أبناء الشعب وأجسادهم وكراماتهم، مثلما هو خطر على ثرواتهم ومستقبلهم.

لذا فإن النضال من أجل معاقبة قتلة محسن فكري، ورفع التهميش عن المنطقة، لا بد أن يكون في نفس الآن نضالا من أجل الحرية السياسية ضد الدكتاتورية ومن أجل جمعية تأسيسية منتخبة ديمقراطيا من طرف العمال والفلاحين وعموم الكادحين، أي الأغلبية الساحقة في المجتمع.

لن يطبق سياسة في صالح الجماهير الكادحة ويفتح تحقيقا نزيها في جريمة قتل محسن فكري وإحراق الشباب الخمسة وغيرها من الجرائم، بما فيها جرائم 1959 و1984، الخ، إلا جمعية تأسيسية ثورية مكونة من ممثلي الجماهير الشعبية الكادحة. أما كل رهان على مؤسسات النظام الدكتاتوري القائم (البرلمان ووزارة الداخلية، الخ) فليس سوى خداع للنفس ومضيعة للوقت.

إن تحرير ساحة الشهداء نصر عظيم، هنيئا لنا به. ليس من السهل أن ينتزع أي مكسب من بين أنياب هذا النظام الوحشي، لكن الجماهير في الحسيمة تمكنت من ذلك. وما حققناه علينا أن نحصنه.

لكن ينبغي على الحركة ألا تتوقف عند هذه النقطة وتتحوّل معركتنا إلى صراع من أجل الساحة والاكتفاء بذلك. إن التوقف يعني التراجع. علينا أن نطور الحراك. وأول خطوة في هذا الاتجاه هي تنظيم الحركة عبر انتخاب مجلس للمدينة يضم ممثلين منتخبين ديمقراطيا في الأحياء الشعبية والمدارس والمداشر، مجلس يستلهم، من نقطة أعلى، مجلس الجماعة الذي سير به أجدادنا شؤونهم في السلم والحرب لقرون طويلة.

الخطوة الثانية لا بد أنها صياغة برنامج يضم مطالب الجماهير، ليس كما يتصورها قادة الحراك، بل كما تعبّر عنها الجماهير في جموعات عامة، فكلما كانت المطالب نابغة من

2016: موت الليبرالية



الحر للسلع ورأس المال وتواصل الناس والأفكار، وحيث تتم حماية الحريات العامة، بحكم القانون، من سوء المعاملة من طرف الدولة». تستحق هذه الكلمات الجميلة حقاً أن تلحن.

لكن بعد ذلك يخلص المقال بحزن إلى أن 2016 «كانت سنة من النكسات. ليس فقط بسبب البريكست (Brexit) وانتخاب دونالد ترامب، ولكن أيضاً بسبب مأساة سوريا، التي تُركت وحدها لمعاناتها، والدعم الواسع النطاق في المجر وبولندا وغيرهما "الديمقراطيات غير الليبرالية". وبينما أصبحت العولمة مجرد وهم، فإن النزعات القومية وحتى السلطوية ازدهرت في تركيا أعقبت الانقلاب الفاشل حملة انتقامية وحشية (واسعة النطاق). وفي الفلبين اختار الناخبون الرئيس الذي لم يعمل فقط على نشر فرق الموت، بل وتفاخر بالضغط على الزناد. في حين تصر كل من روسيا، التي اخترقت الديمقراطية الغربية، والصين، التي قامت في الأسبوع الماضي بالتهكم من الولايات المتحدة عن طريق الاستيلاء على واحدة من غوصاتها، على أن الليبرالية مجرد غطاء للتوسع الغربي».

انتهت ترنيمة الثناء الجميلة على القيم الليبرالية والغربية بنغمة حزينة. حيث اختتمت الإيكونوميست بمرارة: «في مواجهة مع هذا فقد الكثير من الليبراليين (من أنصار السوق الحرة) أعصابهم. وقد كتب بعضهم المراثيات عن النظام الليبرالي وأصدروا تحذيرات من المخاطر التي تواجه الديمقراطية. بينما يرى آخرون أنه بإجراء تعديل بسيط لقانون الهجرة أو رسوم جمركية إضافية، ستعود الحياة ببساطة إلى وضعها الطبيعي».

لكن الحياة لن تعود ببساطة إلى وضعها الطبيعي، أو بعبارة أصح سوف ندخل مرحلة جديدة مما يسميه الاقتصاديون بأنه "الوضع الطبيعي الجديد": مرحلة من الاقطاعات التي لا نهاية لها والتعشف وانخفاض مستويات المعيشة. ونحن في الواقع نعيش في هذا الوضع الطبيعي الجديد منذ مدة. وهو الوضع الذي تترتب عنه عواقب وخيمة جداً.

يشتكى المدافعون عن الليبرالية الرأسمالية بمرارة من صعود سياسيين مثل دونالد ترامب الذي يمثل تقيض ما يعرف باسم "القيم الليبرالية". بالنسبة لمثل هؤلاء الناس بدأ عام 2016 وكأنه كابوس. يأملون أنهم سيستيقظون ويجدون أن كل ذلك كان مجرد حلم، أن يوم أمس سيعود وأن غدا سيكون يوماً أفضل. لكن لن تكون هناك صحة ولا غد بالنسبة لليبرالية البرجوازية.

يتكلم المعلقون السياسيون بخوف عن صعود شيء يسمونه "الشعبوية"، والتي هي كلمة فضفاضة بقدر ما هي بدون معنى. إن استخدام مثل هذه المصطلحات الغامضة يعني فقط أن أولئك الذين يستخدمونها ليست لديهم أي فكرة عما يتحدثون عنه. ليست الشعبوية، من الجانب الاشتراكي المحض، إلا مجرد ترجمة لاتينية للكلمة اليونانية Demagogy (ديماغوجيا). ويتم استخدام هذا المصطلح بنفس الطريقة التي يقوم بها رسام سيء بتغطية جدار طبقة سمكة من الطلاء لإخفاء أخطائه. فهو مصطلح يستخدم لوصف طائفة واسعة من الظواهر السياسية حتى أصبح خالياً تماماً من أي مضمون حقيقي.

قادة حزب بوديموس وغيرت فيلدرز وباروسلاف كاتشينيوسكي وإيفو موراليس ورودرغو ديبيرت وهوغو شافيز وجيريمي كوربين ومارين لوبان، جميعهم ملتحون بنفس الفرشاة الشعبوية. ويكفي أن نقارن المحتوى الحقيقي لهذه الحركات، التي لا تختلف عن بعضها البعض فحسب، بل هي معادية لبعضها جذرياً، لكي نفهم العمق المطلق لهذه اللغة. إن هدفها ليس التوضيح بل التشويش، أو بعبارة أصح إخفاء تيهان المحللين السياسيين البرجوازيين الأغبياء.

موت الليبرالية

في افتتاحيتها، لعدد يوم 24 دجنبر 2016، أنشأت صحيفة الإيكونوميست ترنيمة الثناء على الليبرالية العزيزة على قلبها. يقال لنا فيه إن الليبراليين يؤمنون بـ «الاقتصادات المفتوحة والمجتمعات المفتوحة، حيث يتم تشجيع التبادل

انتهت سنة 2016 بحادثتين مأساويتين ودمويتين إضافيتين: اغتيال السفير الروسي في اسطنبول والقتل الوحشي لأناس في برلين كانوا يستمتعون بسلام بالاستعدادات لعيد الميلاد. وقد تم ربط هذه الأحداث بالمستتق الدموي في منطقة الشرق الأوسط وسوريا تحديداً.

شكل سقوط حلب منعطفاً حاسماً في الوضع روسيا، التي كان من المفترض أنه قد تم عزلها وإخضاعها من طرف "المجتمع الدولي" (إقرأ: واشنطن)، تسيطر الآن على سوريا وتقرر ما يحدث هناك. لقد دعت لمؤتمر للسلام في كازاخستان لم تستدع إليه لا الأميركيين ولا الأوروبيين، أعقبه اتفاق لوقف إطلاق النار بشروط أملتتها روسيا.

لقد عبرت هذه التطورات عن نفس الظاهرة، وإن بطرق مختلفة، وهي أن النظام العالمي القديم قد مات وفي مكانه نواجه مستقبلاً من عدم الاستقرار والصراعات، والتي لا يمكن لأحد التنبؤ بنتيجتها. وبالتالي فإن عام 2016 مثل نقطة تحول في التاريخ. لقد كانت سنة تميزت بالأزمة والاضطراب على نطاق عالمي.

قبل خمس وعشرين سنة، عندما سقط الاتحاد السوفياتي، كان المدافعون عن الرأسمالية مبتهجين. لقد تحدثوا عن موت الاشتراكية والشوعية وحتى نهاية التاريخ. وعدونا بمستقبل من السلام والازدهار بفضل انتصار اقتصاد السوق الحرة والديمقراطية.

لقد انتصرت الليبرالية وبذلك وجد التاريخ تعبيره النهائي في الرأسمالية. هذا هو المعنى الجوهري لعبارة فرانسيس فوكوياما السينة الذكر. ولكن الآن ها هي عجلة التاريخ قد دارت دورة كاملة. اليوم لم يبق حجر على حجر في تلك التنبؤات الواثقة لمنظري الرأسمالية. لقد عاد التاريخ لينتقم.

فجأة ظهر أن العالم يعاني من ظواهر غريبة وغير مسبوقة تتحدى جميع محاولات الخبراء السياسيين لشرحها. يوم 23 يونيو صوت الشعب البريطاني في استفتاء للخروج من الاتحاد الأوروبي، وهو ما لم يتوقعه أحد، وتسبب في موجات صدمة على نطاق عالمي. لكن ذلك لم يكن شيئاً بالمقارنة مع التسونامي الناجمة عن نتيجة الانتخابات الرئاسية الأمريكية، والتي لم يكن أحد يتوقع نتائجها، بمن في ذلك الرجل الذي فاز بها.

بعد ساعات قليلة على انتخاب دونالد ترامب، امتلأت شوارع المدن في جميع أنحاء الولايات المتحدة بالمظاهرات. تلك الأحداث تأكيد مطلق لحالة عدم الاستقرار التي يعاني منها العالم بأسره. فبين عشية وضحاها اختفت الثوابت القديمة. هناك سخط عام في المجتمع وشعور بعدم اليقين على نطاق واسع، يشغل بال الطبقة الحاكمة ومنظرها بقلق عميق.



فقط ليجدوا أمامهم الديون اليونانية الضخمة والنظام المصرفي الإيطالي في ورطة خطيرة. وبعد ثماني سنوات ما يزال هناك مستثمرون يراهنون على انهيار منطقة اليورو كما نعرفها الآن».

في عام 1938 كتب تروتسكي أن الطبقة الحاكمة تتدحرج نحو الكارثة وأعينها مغمضة. والأسطر المذكورة أعلاه دليل واضح على هذه الحقيقة. ثم يصل السيد مونشو إلى الاستنتاج التالي:

«لكن هذا يحدث لنفس السبب مثلما كان الحال في فرنسا قبيل الثورة. فحراس الرأسمالية الغربية، مثلهم مثل آل البوربون قبلهم، لم يتعلموا شيئاً ولم ينسوا شيئاً».

انهيار الوسط

إن الوعي البشري، وخلافاً للأحكام المسبقة التي يتبناها الليبراليون، ليس تقدماً بل محافظ بشكل عميق. معظم الناس لا يحبون التغيير، إنهم يتمسكون بعناد بالأفكار القديمة والأحكام المسبقة والدين والأخلاق، لأنها مألوفة، والشئ المألوف هو دائماً مريح أكثر من الشئ غير المألوف. فكرة التغيير مخيفة لأنها تعني المجهول. تتجذر هذه المخاوف عميقاً في النفس البشرية، وكانت موجودة منذ القدم.

إلا أن التغيير ضروري لبقاء الجنس البشري مثلما هو ضروري لبقاء الفرد. إن غياب التغيير هو الموت. جسم الإنسان يتغير باستمرار منذ لحظة الولادة؛ جميع الخلايا تتحطم وتموت وتستبدل بخلايا جديدة. ويجب أن يختفي الطفل لكي يسمح للبالغ بأن يبرز.

ومع ذلك، ليس من الصعب أن نفهم كره الناس للتغيير. فالعادة والروتين والتقاليد، كل هذه الأشياء ضرورية للحفاظ على المعايير الاجتماعية التي تعزز عمل المجتمع. وعلى مدى فترة طويلة تصبح متأصلة، تكيف الأنشطة اليومية لملايين الرجال والنساء. وتصير مقبولة من الجميع، مثل احترام القوانين والأعراف وقواعد الحياة السياسية والمؤسسات القائمة، أو بعبارة واحدة: الوضع القائم.

في المجتمع. لقد افترضوا أن الوضع الذي نتج عن الازدهار الاقتصادي لمرحلة ما بعد الحرب سيستمر إلى الأبد. وكان اقتصاد السوق و"الديمقراطية" البرجوازية ثابته العصر التي لا جدال فيها.

رضاهم عن النفس وغرورهم يشبه بالضبط سلوك ماري أنطوانيت، ملكة فرنسا سيئة الحظ. ليس من المؤكد أنها قالت فعلاً تلك العبارة الشهيرة، لكنها تعكس بدقة عقلية طبقة حاكمة منحطة لا تهتم لمعاناة الناس العاديين أو العواقب الحتمية التي تترتب عنها.

في النهاية فقدت ماري أنطوانيت رأسها والآن ها هي الطبقة الحاكمة وممثلوها السياسيون يفقدون رؤوسهم بدورهم. يستمر مقال فاينانشال تايمز قائلاً:

«لماذا يحدث هذا؟ يعتقد خبراء الاقتصاد الكلي أنه لا يمكن لأحد أن يجرؤ على تحدي سلطتهم. كان السياسيون الإيطاليون يمارسون الأعباء السلطة منذ الأزل وكان عمل موظفي الاتحاد الأوروبي هو إيجاد سبل بارة لإختطاف التشريعات والمعاهدات المعقدة سياسياً، وراء ظهر التشريعات الوطنية. وحتى مع زحف أمثال السيدة لوبان والسيد غريللو وغيرت فيلدرز البيميني المتطرف رئيس حزب الحرية الهولندي، نحو السلطة، ما زالت المؤسسات الرسمية تتصرف بنفس الطريقة. لو أن الأمر يتعلق بوضي على عرش آل البوربون، لكان في لحظة تفكير غير معهود من طرفه، قد تراجع إلى الوراء. لكن نظامنا الرأسمالي الليبرالي، مع مؤسساته المتنافسة، غير قادر دستورياً على القيام بذلك. إنه مبرمج على تعريض كل شيء للخطر.

إن المسار الصحيح للعمل سيكون هو التوقف عن إهانة الناخبين، والأهم هو حل مشاكل القطاع المالي الخارج عن السيطرة والتدفقات غير المتحكم فيها للناس ورأس المال والتفاوت في توزيع الدخل. في منطقة اليورو وجد القادة السياسيون أنه من المناسب تقديم حلول مرتجلة للأزمة المصرفية ومن ثم أزمة الديون السيادية -

لقد خلفت الأزمة العالمية للرأسمالية ظروفًا تختلف تماماً عن الظروف التي كانت سائدة (على الأقل بالنسبة لعدد قليل من البلدان الغنية) خلال الأربعة عقود التي تلت الحرب العالمية الثانية. شهدت تلك الفترة أكبر تطور لقوى الإنتاج شهدته الرأسمالية منذ الثورة الصناعية. كانت تلك هي التربة التي مكنت الكثير من مزاعم "القيم الليبرالية" من أن تزدهر. وقد وفر الازدهار الاقتصادي للرأسماليين أرباحاً كافية لتقديم تنازلات للطبقة العاملة.

كان ذلك هو العصر الذهبي للإصلاحية. لكن المرحلة الحالية ليست عصر الإصلاحات، بل عصر تدمير الإصلاحات. ليس هذا نتيجة لدوافع أيديولوجية، كما يتصور بعض الإصلاحيين الحمقى، بل النتيجة الحتمية لأزمة النظام الرأسمالي الذي وصل إلى أقصى حدوده. وكل السيرورة التي حدثت على مدى الستة عقود الماضية تسير الآن في الاتجاه المعاكس.

بدلاً من الإصلاحات وارتفاع مستويات المعيشة تواجه الطبقة العاملة في كل مكان الاقتصاعات والتقصف والبطالة والفقر. يقع تدهور ظروف العمل والأجور والحقوق والمعاشات على كاهل أفقر وأضعف فئات المجتمع وتتآكل فكرة المساواة للنساء بسبب السعي الوحشي لزيادة الربحية ويتم حرمان جيل كامل من الشباب من المستقبل. هذا هو جوهر المرحلة الحالية.

لحظة ماري أنطوانيت بالنسبة للثورة

تجد الطبقة الحاكمة ومنظروها صعوبة في قبول حقيقة الوضع الحالي وهم عاجزون تماماً عن رؤية العواقب السياسية التي تترتب عنه. يمكننا ملاحظة نفس العمى عند كل طبقة حاكمة تواجه خطر الانهيار لكنها ترفض أن تتقبل ذلك. وكما قال لينين بحق: لا يمكن للذي يقف على حافة الهاوية التفكير بعقل.

نشرت صحيفة فاينانشال تايمز مقالاً مثيراً للاهتمام لولوفغانغ مونشو بعنوان: "لحظة ماري أنطوانيت بالنسبة للثورة". ويبدأ كما يلي:

«كان بالإمكان تجنب بعض الثورات لو أن الحرس القديم امتنعوا فقط عن القيام بالاستقراوات. لا يوجد أي دليل على صحة حادث "فلياكلوا الكعك" [1]، لكن هذا هو نوع الخطاب الذي كان يمكن لماري أنطوانيت أن تقول، يبدو الحادث حقيقياً. كان من الصعب إقناع آل البوربون، مثلهم مثل مؤسساتهم المنفصلة عن الواقع.

صار لديهم الآن منافسون.

إن مؤسساتنا الديمقراطية الليبرالية العالمية تتصرف بنفس الطريقة. ففي الوقت الذي صوتت فيه بريطانيا لمغادرة الاتحاد الأوروبي وتم انتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة وتسير مارين لوبان نحو قصر الإليزيه، نستمر نحن - حراس النظام الليبرالي العالمي - في تعريض كل شيء للخطر».

المقارنة مع الثورة الفرنسية مفيدة للغاية. ففي كل مكان أعطت الطبقة الحاكمة و"خبرائها" الدليل على انفصالهم الكلي عن الوضع الحقيقي

تطبيع قوانين النظام الرأسمالي. وفي مرحلة الأزمة الرأسمالية هذا يعني حتمية الاقطاعات والهجمات على مستويات المعيشة.

هذا هو الدرس الذي يجب تعلمه من تجربة تسبيراس وفاروفاكيس في اليونان. لقد وصلا إلى السلطة بدعم شعبي كبير على أساس برنامج مكافحة التقشف، لكن سرعان ما فهما على يد ميركل وشوبيله أن ذلك لم يكن على جدول الأعمال، وفي نهاية المطاف استسلما وطبقا بخسوع برنامج التقشف الذي أمّلته برلين وبروكسل. وقد شاهدنا حالة مماثلة لذلك في فرنسا حيث حقق هولاند نصرا انتخابيا كبيرا واعداد بتطبيق برنامج مضاد للتقشف، ثم انقلب بدوره 180 درجة ونفذ سياسة اقطاعات أعمق حتى من الحكومة اليمينية السابقة. وكانت النتيجة الحتمية هي صعود مارين لوبان والجهة الوطنية.

الرأسمالية في طريق مسدود

في بلدان مثل الولايات المتحدة، كان في إمكان كل جيل منذ الحرب العالمية الثانية، أن يتطلع إلى مستوى معيشي أفضل من ذلك الذي تمتع به أباه. خلال عقود الازدهار الاقتصادي أصبح العمال معتادين على الانتصارات السهلة نسبيا. لم يكن القادة النقابيون مضطرين للنضال كثيرا للحصول على زيادات في الأجور. واعتبرت الإصلاحات هي القاعدة. كان اليوم أفضل من الأمس والغد سيكون أفضل من اليوم.

خلال فترة الازدهار الرأسمالي الطويلة، تراجع الوعي الطبقي للعمال إلى حد ما. وبدلا من سياسات اشتراكية حازمة وواضحة، تلوّنت الحركة العمالية بالأفكار الغريبة عنها من خلال قناة البرجوازية الصغيرة التي دفعت العمال إلى الهامش وأخرست صوتهم بالخطب الحادة للراديكالية البرجوازية الصغيرة.

وتدرجيا صار ما يسمى بالاعتدال السياسي، مع قتات الأفكار نصف المطهورة التي انتشرت من مزبلة الليبرالية البرجوازية، يصبح مقبولا حتى في النقابات حيث التقطه القادة الإصلاحيون اليمينيون بلهفة كبديل عن السياسات الطبقيّة والأفكار الاشتراكية. وقد لعب الإصلاحيون اليساريون على وجه الخصوص دورا خبيثا في هذا الصدد. وسوف يتطلب الأمر ضربات مطرقة الأحداث لهم هذه الأحكام المسبقة التي لها تأثير هدام على الوعي.

لكن أزمة الرأسمالية لا تسمح بمثل هذا الترف. اليوم سيواجه جيل من الشباب لأول مرة ظروفًا أسوأ من الحياة التي عاشها آبائهم. وتدرجيا يتغلغل هذا الواقع الجديد في وعي الجماهير. هذا هو سبب تصاعد الاستياء الحاد الموجود في جميع البلدان، والذي صار يكتسي طابعا متفجرا. وهو ما يفسر الزلازل السياسية التي حدثت في بريطانيا وإسبانيا واليونان وإيطاليا والولايات المتحدة والعديد من البلدان الأخرى. إنها تنبيه إلى إعداد شروط تطورات ثورية.

في وقت لاحق سوف ينظر لفترة نصف قرن التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بكونها مجرد استثناء تاريخي. في جميع الاحتمالات لن تتكرر

تخشى الطبقة الحاكمة من أن تدفق أعداد كبيرة من الأعضاء الجدد على حزب العمال قد يكسر قبضة اليمين على الحزب. وهذا ما يفسر حالة الذعر التي أصابت الطبقة الحاكمة والطبقة الشرسة للحملة ضد كوربين.

أزمة الرأسمالية هي أيضا أزمة الإصلاحية. منظر الرأسمال يشبهون آل البوربون، لكن القادة الإصلاحيين ليسو سوى تقليد رديء لأوليين. إنهم صم عمي. لا يمتلك الإصلاحيون، بكل تنوعاتهم اليمينية واليسارية، أي فهم للوضع الحقيقي، وعلى الرغم من أنهم يمدحون أنفسهم بأنهم واقعيون كبار، فإنهم أسوء أنواع الطوباويين.

الإصلاحيون مثلهم مثل الليبراليين، رغم أنهم ليسو سوى انعكاس شاحب لهم، مثلهم لعودة الماضي الذي اختفى بدون رجعة. إنهم يشنون بمرارة من ظلم الرأسمالية، دون أن يدركوا أن سياسات البرجوازية تملئها الضرورة الاقتصادية للرأسمالية نفسها.

من سخرية التاريخ أن الإصلاحيين قد تبنا بالكامل اقتصاد السوق في نفس الوقت بالضبط الذي بدأ يتحطم أمام أعيننا. قبلوا بالرأسمالية كشيء معطى مرة وإلى الأبد، لا يمكن التشكيك فيها، وبالتأكيد لا يمكن إسقاطها. إن واقعية الإصلاحيين المزعومة هي واقعية رجل يحاول إقناع النمر أن يأكل العشب بدلا من اللحم البشري. لكن ذلك الواقعي الذي حاول أداء هذا العمل الفذ الجدير بالثناء لم ينجح، بطبيعة الحال، في إقناع النمر وانتهى به الأمر داخل بطنه.

ما لا يفهمه الإصلاحيون هو أنه إذا كنت تقبل بالرأسمالية فيجب عليك أن تقبل أيضا بقوانين الرأسمالية. وهذا يعني، في ظل الظروف الحالية، قبول الاقطاعات والتقشف. ليس هناك من دليل على إفلاس الإصلاحية التام أوضح من حقيقة أنهم لم يعودوا يتحدثون عن الاشتراكية ولا يتحدثون عن الرأسمالية، وبدلا من ذلك يشنون من شرور "النيو ليبرالية"، وهذا يعني أنهم لا يعترضون على الرأسمالية في حد ذاتها، بل فقط على شكل معين للرأسمالية. لكن ما يسمى بالنيوليبرالية مجرد كناية عن الرأسمالية في مرحلة الأزمة.

الإصلاحيون، الذين يتخيلون أنهم واقعيون كبار، يحلمون بالعودة إلى أوضاع الماضي في حين أن ذلك الماضي قد اختفى في غياهب التاريخ. إن المرحلة التي تفتتح الآن أمامنا ستكون مختلفة تماما. خلال العقود التي تلت عام 1945، تراجع الصراع الطبقي في البلدان الرأسمالية المتقدمة إلى حد ما نتيجة للإصلاحات التي حققتها الطبقة العاملة بواسطة النضال.

لقد أوضح تروتسكي منذ زمن طويل أن الخيانة صفة ضمنية في الإصلاحية بجميع أنواعها. لم يكن يعني بهذا أن الإصلاحيين يخونون الطبقة العاملة بوعي. هناك العديد من الإصلاحيين الشرفاء، فضلا عن عدد لا بأس به من الوصاليين الفاسدين، لكن الطريق إلى جهنم مفروش بالنوايا الحسنة. إذا كنت تقبل بالنظام الرأسمالي - كما يفعل كل الإصلاحيين، سواء اليمينيين أو اليساريين، يجب عليك بالتالي أن

يوجد شيء مماثل لهذا في العلم. في دراسته العميقة "بنية الثورات العلمية" يشرح توماس س. كون، كيف أن كل مرحلة من مراحل تطور العلوم تستند إلى نموذج قائم يتم قبوله بشكل عام، يوفر الإطار اللازم للعمل العلمي. وطيلة فترة طويلة يقدم ذلك النموذج خدمة مفيدة. لكن في نهاية المطاف تظهر تناقضات صغيرة وتافهة، على ما يبدو، تؤدي في النهاية إلى سقوط النموذج القديم واستبداله بأخر جديد. بشكل هذا، وفقا لكون، جوهر الثورة العلمية.

تحدث نفس السيرة الجدلية بالضبط في المجتمع. فالأفكار التي وجدت لفترة طويلة بحيث أنها تحولت إلى أحكام مسبقة، تدخل في نهاية المطاف في صراع مع الواقع القائم. عند هذه النقطة تبدأ في الحدوث ثورة في الوعي. يبدأ الناس في التشكيك فيما كان يبدو وكأنه لا يرقى إليه الشك. وتتحطم الأفكار التي كانت مريحة، لأنها كانت توفر اليقين، على صخرة الواقع الصعب. ولأول مرة يبدأ الناس في التخلص من أو هامهم المريحة القديمة ويبداون في النظر إلى الواقع في وجهه.

إن السبب الحقيقي لمخاوف الطبقة الحاكمة هو انهيار الوسط السياسي. ما نشهده في بريطانيا والولايات المتحدة وإسبانيا والعديد من البلدان الأخرى هو الاستقطاب الحاد والمزاييد بين اليمين واليسار في السياسة، والذي ليس بدوره سوى انعكاس لتزايد الاستقطاب بين الطبقات. وهذا بدوره انعكاس للأزمة التي هي الأعمق في تاريخ الرأسمالية.

على مدى القرن الأخير استند النظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية على حزبين اثنين: الديموقراطيون والجمهوريون، واللذان يدافعان معا عن الحفاظ على الرأسمالية، وكلاهما يمثل مصالح البنوك والشركات التجارية الكبرى. عبر غور فيدال عن ذلك بشكل جيد عندما قال: «جمهوريةنا لديها حزب واحد، حزب الملكية الخاصة، بجناحين يمينيين».

كان هذا هو الأساس المتين لاستقرار واستمرارية ما يعتبره الأمريكيون "الديمقراطية". ليست هذه الديمقراطية البرجوازية، في الواقع، سوى ورقة تين لإخفاء حقيقة دكتاتورية أصحاب الأبنك والرأسماليين. والآن يتعرض هذا الوضع المريح للتحديات والرجات حتى النخاع. ملايين الناس يستيقظون على تعفن المؤسسات السياسية الرسمية وحقيقة أنهم خدعو من قبل أولئك الذين يدعون تمثيلهم. هذا هو الشرط المسبق للثورة الاجتماعية.

أزمة الإصلاحية

نرى وضعا مماثلا في بريطانيا، حيث طيلة 100 سنة تناوب حزب العمال والمحافظون على السلطة، ووفرا نفس النوع من الاستقرار للطبقة الحاكمة. كان حزب العمال وحزب المحافظين يسيران من طرف فئة صلبة من الرجال والنساء المحترمين والذين يمكن الاعتماد عليهم لتسيير المجتمع في مصلحة البنوك والرأسماليين من مدينة لندن. لكن انتخاب جيريمي كوربين قلب الطاولة.



بل على العكس من ذلك، بدا أن الظروف الموضوعية للثورة الاشتراكية في روسيا غير موجودة.

كانت أوروبا في قبضة حرب رهيبة. عمال بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا كانوا يذبحون بعضهم البعض باسم الإمبريالية. في ذلك السياق لا بد أن شعار "يا عمال العالم اتحدوا" بدا وكأنه تعبير عن السخرية المريرة. كانت روسيا نفسها تحت نير نظام استبدادي قوي يمتلك جيشا ضخما وقوات شرطة وشرطة سرية تمتد مخالباها إلى كل الأحزاب السياسية، بما في ذلك البلاشفة.

ورغم ذلك، ففي هذا الوضع، الذي بدا مستحيلا، تحرك عمال روسيا للاستيلاء على السلطة بأيديهم. أطاحوا القيصر وأنشأوا أجهزة السلطة الديمقراطية: السوفييتات. بعد تسعة أشهر فقط تمكن الحزب البلشفي، الذي كان في بداية الثورة مجرد قوة صغيرة لا يزيد أعضاؤه عن 8000 عضو، من الوصول إلى السلطة.

بعد مائة عام تواجه الماركسيين نفس المهمة التي واجهت لينين وتروتسكي في عام 1917. قواتنا صغيرة ومواردنا شحيحة، لكننا مسلحون بأقوى سلاح: سلاح الأفكار. قال ماركس إن الأفكار تصبح قوة مادية عندما تعانق الجماهير. لفترة طويلة كنا نصارع ضد تيار قوي، لكن تيار التاريخ صار الآن يتدفق بقوة في صالحنا.

إن الأفكار التي يستمع إليها اليوم أفراد قلائل، سوف تستقبل بلهفة من قبل الملايين خلال المرحلة التي تفتح الآن. يمكن أن تقع أحداث عظيمة بسرعة كبيرة، وتغير الوضع برمته. وعي الطبقة العاملة يمكن أن يتغير في غضون أيام أو ساعات. مهمتنا هي إعداد الكوادر للأحداث الكبيرة التي تتحضر. رايتنا هي راية ثورة أكتوبر وأفكارنا هي أفكار لينين وتروتسكي. وهذا هو الضمان النهائي لنجاحنا.

هوامش:

[1] العبارة التي تقول الرواية إن ملكة فرنسا أثناء ثورة 1789، وزوجة الملك لويس 16، ماري أنطوانيت، قالتها عندما أخبروها بأن الشعب خرج إلى الشوارع يحتج على انعدام الخبز - المترجم -

ينتجها نظام منحل ورجعي هناك جانب آخر لهذه الصورة. إن عصرنا هو عصر ولادة، وفترة انتقالية من مرحلة تاريخية إلى أخرى. تتميز مثل هذه الفترات دائما بالآلام، التي هي آلام مجتمع جديد يكافح من أجل أن يولد، في حين يكافح المجتمع القديم للحفاظ على بقاءه من خلال خلق الطفل في الرحم.

العالم القديم يحتضر وهو واقف على قدميه. وتشير إلى سقوطه أعراض واضحة. ينتشر التعفن في النظام القائم ومؤسساته تنهار. وقد استولى على المدافعين عن النظام القديم رعب غير محدد من شيء مجهول. كل هذه الأمور تدل على أن هناك شيئا آخر يقترب.

سيتم تسريع هذه الانهيار التدريجي بدخول الطبقة العاملة إلى مسرح التاريخ. وهؤلاء المشككون الذين شطبوا الطبقة العاملة من حساباتهم سيضطرون إلى بلع كلماتهم. حمم بركانية تتراكم تحت سطح المجتمع. وتتراكم التناقضات إلى النقطة التي لا يمكن التحمل أكثر بعدها.

مهمتنا هي اختصار هذه السيرورة المؤلمة وضمان حدوث الولادة بأقل معاناة ممكنة. ومن أجل القيام بذلك لا بد من إنجاز مهمة إسقاط النظام الحالي الذي أصبح حاجزا رهيبا أمام تطور الجنس البشري وتهديدا لمستقبله.

كل أولئك الذين يحاولون الحفاظ على النظام القديم ورأب تصدعاته وإصلاحه وتزويده بالعكازات التي من شأنها أن تمكنه من العرج ليضع سنوات أو عقود أخرى، يلعبون أكثر الأدوار رجعية. إنهم يمنعون ولادة المجتمع الجديد، الذي وحده من يمكنه أن يقدم مستقبلا للبشرية، ويضع حدا لكابوس الرأسمالية الحالي.

العالم الجديد الذي يسعى جاهدا ليلود يسمى الاشتراكية. واجبنا أن نضمن أن تتم هذه الولادة في أقرب وقت ممكن وبأقل ما يمكن من الألم والمعاناة. إن الطريق لتحقيق هذه الغاية هي بناء تيار ماركسي عالمي قوي من الكوادر الثورية وبروابط قوية مع الطبقة العاملة. قبل مائة سنة وقع حدث غير مجرى تاريخ العالم. ففي بلد إقطاعي شبه متخلف في طرف أوروبا، تحركت الطبقة العاملة لتغيير المجتمع. لا أحد توقع ذلك،

تلك السلسلة الخاصة من الظروف التي أنتجت ذلك الوضع. ما نواجهه الآن هو على وجه التحديد العودة إلى الرأسمالية العادية. سوف ينزع الوجه المبتسم للبيرالية والإصلاحية والديمقراطية جانبا ليكشف عن الوجه الوحيد الحقيقي للرأسمالية.

نحو أكتوبر جديد!

مرحلة جديدة تفتح أمامنا، مرحلة من العواصف والضغط ستكون أشبه بسنوات الثلاثينات وليس بفترة ما بعد 1945. سوف تنتزع جميع أو هام الماضي من وعي الجماهير بمبضع حاد. في مثل هكذا مرحلة سيكون على الطبقة العاملة أن تناضل بشراسة للدفاع عن مكتسبات الماضي، وفي مسار الصراع المرير سوف تصل إلى فهم الحاجة إلى برنامج ثوري جذري. إما أن تتم الإطاحة بالرأسمالية أو أن الإنسانية ستواجه مصيرا رهيبا. هذا هو البديل الوحيد، وأي مسار آخر هو مجرد كذب وخداع. لقد حان الوقت للنظر في وجهه الحقيقة.

على أساس الرأسمالية المريضة لا يمكن أن يكون هناك أي مخرج للمضي قدما أمام الطبقة العاملة والشباب. يسعى الليبراليون والإصلاحيون جاهدين لدعم الرأسمالية. أنهم يتذمرون من التهديد للديمقراطية، ويخفون حقيقة أن ما يسمى بالديمقراطية البرجوازية هي مجرد ورقة تين يختفي وراءها واقع ديكتاتورية المصارف والشركات التجارية الكبرى. سيحاولون جذب الطبقة العاملة إلى تحالفات "الدفاع عن الديمقراطية"، لكن ذلك مجرد مهزلة للنفاق.

القوة الوحيدة التي لها مصلحة حقيقية في الديمقراطية هي الطبقة العاملة نفسها. إن من يسمون بالبرجوازيين الليبراليين غير قادرين عن النضال ضد الردة الرجعية، التي تتبع مباشرة من النظام الرأسمالي الذي تقوم عليه ثرواتهم وامتيازاتهم. أوباما هو الذي مهد الطريق لانتصار ترامب، تماما مثلما أن هولاند هو الذي مهد الطريق لصعود لوبان.

في الواقع، النظام القديم يتحطم بالفعل أمام أعيننا. وأعراض تحلله واضحة للجميع. في كل مكان نرى الأزمات الاقتصادية والانهيار الاجتماعي والاضطراب والحروب والدمار والفوضى. إنها صورة رهيبة، لكنها تتبع من حقيقة أن الرأسمالية قد دفعت بالبشرية إلى طريق مسدود.

ليست هذه هي المرة الأولى التي رأينا فيها مثل هذه الأشياء. يمكن أن نرى نفس الأعراض في مرحلة انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية ومرحلة اضمحلال المجتمع الإقطاعي. لم يكن من قبيل الصدفة أن الناس في تلك الأيام تصوروا أن نهاية العالم وشيكة. لكن ما كان على وشك الحدوث ليس نهاية العالم، بل فقط نهاية نظام اقتصادي اجتماعي محدد استنفد إمكاناته وأصبح عقبة هائلة في طريق التقدم الإنساني.

قال لينين ذات مرة إن الرأسمالية هي الرعب بلا نهاية. ونحن نرى الآن الحقيقة الحرفية لهذه المقولة. لكن جنبا إلى جنب مع الأحوال التي

اعتداء برلين - حصاد العواصف

احترقت أصابعه في أفغانستان والعراق، بالتدخل عبر وكلائه الجهاديين والأن نرى أي فوضى همجية قاد إليها ذلك. بعد 15 سنة على هجوم الحادي عشر من ستمبر لم تشهد القاعدة أياماً أفضل من الآن، لم يكن لها قط شبكة أكبر مما لديها الآن، ولا أموال أو أسلحة أكثر من الآن. دعايتها تصل إلى أشخاص أكثر، بل ولديها إمارة شبه معترف بها في شمال غرب سورية - وكل ذلك يبرر في الغرب تحت ستار دعم المتمردين "المعتدلين".

العنصرية

إن الطبقات الحاكمة في الغرب هي المسؤولة عن موجة الإرهاب والجهاد بسبب حروبها وتدخلاتها في الشرق الأوسط وما وراءه. وعلى الصعيدين المحلي والدولي تقف كلماتهم في تناقض صارخ مع أفعالهم. إنهم يتظاهرون بأنهم ضد الإرهاب الإسلامي، لكن عبر تسعير المزاج العنصري المعادي للمسلمين وبالتالي زيادة تهميش فئات واسعة من الشباب الأوروبي المسلم، يخلقون الأرض الأكثر خصوبة لعمل الديماغوجيين الجهاديين.

إن المشكلة الحقيقية التي تواجه الطبقات الحاكمة في أوروبا هي انفصاح خداع المؤسسات و"النظام" القديم. تعاني أحزاب حاكمة عريقة حالة تدهور خطيرة بينما يعيش المجتمع حالة استقطاب. يواجه ملايين الأشخاص مستقبلاً يزداد صعوبة، بينما تستمتع النخبة بأساليب حياة أكثر بذخاً من أي وقت مضى. وفي هذا السياق، يرى قسم من الطبقة الحاكمة في الشعوبية القومية شيئاً فعالاً، لإلهاء الطبقة العاملة التي تشعر بالمرارة.

قادة الحركة العمالية لا يقدمون للأسف بديلاً طبقياً. وبدلاً من أن يطرحوا برنامجاً اشتراكياً للطبقة العاملة لضخ الطبقة الحاكمة وهزمها، غالباً ما يتبنون نفس الخطاب المعادي للمسلمين، بأن هناك ضرورة لـ "فعل شيء ما بخصوص الهجرة" وفي الكثير من الحالات دعموا الحروب الإمبريالية بشكل مباشر. وقد قاموا بمساعدة الطبقة الحاكمة بشكل فعال على تقسيم الطبقة العاملة على أسس قومية ودينية.

إن الإرهاب وعدم الاستقرار العام الذي نشاهده عبر أوروبا هي انعكاسات لأزمة الرأسمالية. لقد قامت الطبقة الحاكمة بزرع الرياح وهي الآن تحصد العواصف. وكلما صارت الأزمة أعمق كلما سنرى المزيد من هذه الأحداث. لكن الحل ليس هو تشويه سمعة أو تجريم ضحايا آخرين لهذا النظام. إن الحل هو أن نشرح سبب ما يحصل للجماهير العاملة في كل البلدان، ولإلقاء اللوم على المسؤولين الحقيقيين، ليس على كاهل المهاجرين الفقراء، بل على كاهل الطبقات الإمبريالية الحاكمة في الغرب، وفي نفس الوقت رفع برنامج اشتراكي بمقدوره حل كل مشاكل البطالة والأجور المنخفضة وغلاء أسعار كراء المنازل والتشرد الذي يؤثر على العمال في كل مكان.

يتسابق كل اليمينيين الشعبويين الأوروبيين لرفع الهستيريا المعادية للهجرة إلى الدرجة القصوى واستخدامها لأهدافهم الضيقة.

مع ذلك، يتناقض هذا بشكل حاد مع اغتيال النائبة العمالية جو كوكس (Jo Cox) العام الفارط في بريطانيا. جريمة القتل تلك، التي قام بتنفيذها سفاح نازي، تم تمويلها بسرعة من طرف الإعلام على أنها لم تكن سوى تصرف مؤسف من رجل مختل. قيل بأن لا علاقة لها مع المزاج العام المعادي للمهاجرين الذي تم الترويج له من قبل الطبقة الحاكمة، لاسيما خلال حملة الاستفتاء البريطانية، بينما هي قد نتجت عنها مباشرة في الواقع.

اليوم ليس لنفس وسائل الإعلام ونفس النخبة السياسية أية مشكلة في استغلال الاعتداء الأخير لتشويه سمعة المهاجرين والمسلمين في كل أوروبا - على الرغم من حقيقة أنه، في هذه المرحلة، لا يوجد دليل ملموس على من يكون مرتكب الجريمة أو لماذا قام (أو قامت) بتنفيذ هذه الجريمة.

وكمؤشر على ما هو قادم، تم اعتقال طالب لجوء باكستاني، في الثالثة والعشرين من عمره، دخل البلاد في دجنبر الماضي، للاشتباه في مسؤوليته عن الاعتداء، لكن أفرج عنه لاحقاً بعد أن توصلت الشرطة إلى أنه لا صلة له بتاتا بالاعتداء. لكن قيل أن تتم تيرنته، كان قد تم بالطبع تطيخ اسمه بالفعل في وسائل الإعلام الألمانية.

"الذين يزرعون الرياح، سيحصدون العواصف"

بالطبع قد يكون الاعتداء نفذ من قبل إسلامي. لكن من أين يأتي هؤلاء الإسلاميون؟ عند طرح هذا السؤال يُبقي هؤلاء السيدات والسادة أفواههم مطبقة.

لكن توجد هنا مشكلة أخرى. إن هؤلاء "الإرهابيين الإسلاميين المتطرفين" هم في الحقيقة نفس القوى التي توصف بأنها "معارضة معتدلة" عندما تحارب في سورية والتي تم دعمها بملايير الدولارات وجبال من الأسلحة من طرف الغرب في السنوات الخمس الماضية. داعش نفسها ولدت من رحم القوى التي تم الترويج لها ودعمها من قبل الولايات المتحدة. بالطبع هم اليوم يحافظون على مسافة أمنة مع داعش - علناً على الأقل - لكن طفلها "جبهة فتح الشام" أصبح أقوى فصائل المتمردين في سورية، وهو الموقع الذي لم يكن ليحققه إلا بدعم الإمبريالية الغربية إلى جانب تركيا، السعودية ودول الخليج.

كان من المفترض أن يكون هجوم الحادي عشر من ستمبر تحذيراً ونقطة تحول بالنسبة للغرب، لكن ماهي حصيلة ما يسمى بـ "الحرب على الإرهاب"؟ في أفغانستان يناقش الغرب علناً صفقة مع طالبان، والتي هي القوة التي ذهبوا في البداية لتدميرها، وفي العراق حول الاحتلال الكارثي البلاد إلى عيش شعبان للعصابات الجهادية. وفي سورية قام الغرب، بعد أن

يوم الاثنين [19 دجنبر 2016]، قامت شاحنة باقتحام سوق مكتظ لأعياد الميلاد في Breitscheidplatz ببرلين، الشيء الذي سلط الضوء مرة أخرى على الفوضى التي خلقتها التدخلات الإمبريالية في الشرق الأوسط. سقط 12 من الضحايا قتلى، بينما أصيب 49 آخرون بجروح. مرتكب هذه الجريمة كان قد اختطف الشاحنة من سائق بولندي قتله لاحقاً. وبعد الاعتداء، قام بالهرب من المكان وقتل لاحقاً، يوم الجمعة 23 دجنبر، بميلانو بإيطاليا.

تتركز كل الأنظار على الأعمال الإرهابية، لكن وسائل الإعلام تتغاضى عن المسؤول عن هذه الفوضى في المقام الأول. الإمبريالية الأمريكية - مدعومة بحلفائها الأوروبيين - ذهبت لأفغانستان والعراق، وقامت لاحقاً بقصف كل من سورية وليبيا، فيما يسمى "الحرب على الإرهاب". وفي سياق ذلك ذبح مئات الألوف من المسلمين العاديين ووجد الملايين منهم أنفسهم بلا مأوى... والآن لسنا أقرب إلى "هزيمة الإرهاب" مما كنا عليه قبل 15 سنة. في الواقع إن التهديد على حياة الأشخاص العاديين الذين يستمتعون بقضاء ليلة خارجاً في مقهى أو يقومون بالتبضع لعيد الميلاد تصاعد بشكل هائل.

إن الماركسيين لا يبررون بأي شكل من الأشكال هذه الأساليب الإرهابية، لكن لا يتطلب الأمر الكثير لفهم كيف يثير الوضع الحالي غضب فئات من الشباب المهمشين، ممن يمكن أن يندفعوا نحو "طلب الانتقام" كما يرونه. يمكن لهذا أن يؤدي إما إلى اعتداءات "ذئاب مفردة" كما يسمون، أو إلى هجمات منظمة. تستغل الجماعات مثل داعش هذا الوضع إما لكي تنظم بشكل مباشر هجمات إرهابية، أو لتحريض أفراد على القيام بذلك. الجماعات مثل داعش تقوم أيضاً بالترويج لمثل هذه الأنشطة بكليية، كما أنه من مصلحة إثارة رد فعل عنيف ضد المسلمين في الغرب، الذي بدوره صار أرضاً أكثر خصوبة لتجنيد المتطوعين.

الكلية

أقل ما يقال عن موجة البروباغندا المعادية للمسلمين التي تلت الاعتداء مباشرة إنها مثيرة للقرق.

ديماغوجيو اليمين في جميع أنحاء أوروبا يهاجمون ميركل وسياسة الهجرة "الفضفاضة" الخاصة بها باعتبارها السبب الحقيقي للاعتداء. قام اليميني القومي الهولندي المتطرف، غيرت فيلدرز (Geert Wilders)، بنشر صورة على تويتر تظهر أيدي أنجيلا ميركل ملطخة بالدماء.

وكما لو أنها محاولة لاستباق الانتقادات، قالت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل بأنه: «نظراً لمعلوماتنا الحالية، يجب علينا أن نفترض بأننا نتعامل مع اعتداء إرهابي»، وأضافت لاحقاً: «أعلم بأنه سيكون من الصعب علينا جميعاً التحمل بالأخص إذا تأكد أن مرتكب هذه الجريمة قد طلب الحماية واللجوء من ألمانيا».

بيان التيار الماركسي الأممي حول وفاة فيدل كاسترو



نيابة عن التيار الماركسي الأممي نرسل أعمق مشاعر تعاطفنا وتعازينا لشعب كوبا لوفاة فيدل كاسترو، المقاتل الثوري الدؤوب الذي قاد، إلى جانب تشي غيفارا، نضال الشعب الكوبي ضد الامبريالية الأمريكية وحول النضال من أجل التحرر الوطني إلى نضال ثوري ضد الرأسمالية.

لقد صارت الثورة الكوبية منارة للجماهير المضطهدة خارج حدود كوبا. وقد أثبتت في الممارسة تفوق الاقتصاد المخطط، من خلال تحقيق نجاحات كبيرة في مجال التعليم والثقافة والصحة، على الرغم من المحاولات المستمرة لخنق ذلك، أولاً عن طريق التدخل العسكري المباشر، ثم الإرهاب المستمر والحصار الإجماعي وغير الإنساني.

طيلة كل ذلك الوقت استمر فيدل كاسترو يلعب دوراً حيويًا في مقاومة كل محاولات دفع كوبا مرة أخرى نحو المستنقع الرأسمالي. إن رحيله خسارة كبيرة لجميع من يواصلون الدفاع عن مكتسبات الثورة ويعارضون مخططات الإمبريالية لإعادة الرأسمالية إلى كوبا وإعادة شعبها إلى العبودية.

يريد الامبرياليون الاستفادة من وفاة فيدل كاسترو لتجديد هجومهم. شرذمة الخونة المعادين للثورة بقرقصون في شوارع ميامي، والبلطجي الرجعي ترامب يبيصق السم ضد الثورة الكوبية. الضياع تحوم مرة أخرى حول الشعب الكوبي. لكن هذا التهديد لن يؤدي إلا إلى تقوية عزيمة المدافعين عن الثورة.

في هذه المعركة بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة، يقف البروليتاريون الأمميون في العالم، المكافحون من أجل الاشتراكية تحت راية ماركس وانجلز ولينين وتروتسكي الناصعة، جنباً إلى جنب مع الشعب الكوبي.

أيها الرفاق الكوبيون! فيدل كاسترو لم يعد بيننا، لكن الثورة الكوبية ما تزال حية وتكافح. نحن التيار الماركسي الأممي سندعم هذا الكفاح ضد الإمبريالية وضد إعادة الرأسمالية بكل الوسائل المتاحة لدينا. اليوم شعب كوبا في حزن عميق، لكن غداً يجب أن تستمر المعركة.

فلتكن شعاراتنا ما يلي:

- الدفاع غير المشروط عن الثورة الكوبية!
- فلتنسقط الامبريالية والرأسمالية!
- عاشت الاشتراكية!
- حتى النصر دوم! (Hasta la Victoria siempre!)
- يا عمال العالم اتحدوا!

مقتطفات من البرنامج الانتقالي

طوال عقود وعقود الجماهير الكادحة - المغربية والصحراوية- تناضل بشراسة النمر ضد الدكتاتورية والاستغلال والقهر القومي. لكن المأساة هي أن كل تلك النضالات البطولية والتضحيات تذهب هباءً وتبقى بدون أفق بسبب غياب برنامج ثوري يكثف مطامح وآمال الجماهير في نقاط واضحة تعبر عن أشد مطالبها إلحاحاً وتوسع أفقها باستمرار. برنامج انتقالي يشكل الجسر بين النضالات الآنية وبين النضال من أجل التغيير الاشتراكي للمجتمع.

في هذا السياق ننشر مقتطفات من برنامجنا الانتقالي على صفحات الجريدة، بحيث يتضمن كل عدد موضوع معين، وللراغبين في الإطلاع على البرنامج الانتقالي كاملاً يمكنه اقتناء العدد 11 من جريدتنا "الشيوعي" (يناير 2014) من المناضلة الذي يوزع الجريدة، أو الإطلاع عليه على موقع ماركسي.

نطرح هذا البرنامج للطبقة العاملة المغربية والشعب الصحراوي وعموم الكادحين والمناضلين العماليين والشباب الثوري الباحثين عن بديل ماركسي اشتراكي ثوري، بحيث يتناول مواضيع: الأجور، البطالة، النقابات، النساء، الأسرة، السياسة الزراعية، الخصوصية، الصحة، التعليم، السكن، الديون، الضرائب، السياسة الخارجية، الجيش والشرطة، حقوق الشعب الصحراوي، جهاز الدولة.

النساء

وضع النساء في أي مجتمع هو مقياس جيد لدرجة تطور ذلك المجتمع أو درجة تخلفه. ووضع المرأة الكادحة في المغرب مؤشر عن مدى الانحطاط الذي وصله النظام الرأسمالي التبعية القائم. إذ يعاني من اضطهاد مزدوج: فهن مضطهدات كعاملات وفلاحات وكادحات من جهة ومن جهة أخرى كنساء. البطالة في صفوفهن أكثر، مناصب الشغل "المخصصة" لهن أكثر هشاشة، أجورهن أقل، فرصهن في الالتحاق بمقاعد الدراسة أقل كما أن الأسرة البرجوازية ليست سوى آلة لسحقهن في العمل البيتي وتحت ترسانة من العادات والتقاليد الرجعية والأخلاق المناقفة.

إننا في رابطة العمل الشيوعي لا ننظر مطلقاً إلى اضطهاد النساء من وجهة نظر جنسية، إن اضطهاد النساء يجد جذوره في علاقات الإنتاج الرأسمالية القائمة. ونناضل من أجل:

- المساواة التامة بين الرجال والنساء في جميع الميادين والقضاء على جميع أشكال التمييز.
- تحويل العمل البيتي إلى عمل عمومي عبر تطبيق مخطط واسع لتوفير حضانات ورياض أطفال مجانية ومطاعم ومحلات غسل الثياب عمومية وذات جودة عالية وبأثمان في متناول العمال والكادحين، في جميع الأحياء العمالية والقرى والمداشر، تحت الرقابة العمالية.
- تعميم الحق في عطلة الولادة والإرضاع، ثلاثة أشهر قبل الوضع وثلاثة أشهر بعد الوضع، - قابلة للزيادة إذا ما اقتضت ذلك الظروف الصحية للعاملية ووليدها أو نوعية العمل- مؤدى عنها بالأجر الكامل.

الأسرة

- سن قانون يقر حق الطلاق بدون أي تمييز ولا عراقيل مادية أو بيروقراطية وبمجرد إبداء أي من الشريكين - المرأة أو الرجل- لرغبته فيه.
- الحق في الإجهاض في مستشفيات مجانية وفي شروط صحية عالية.
- إلغاء مفهوم الأبناء "الغير الشرعيين" وإلغاء التمييز ضد الأمهات العازبات.
- تطهير البرامج الدراسية والمواد الإعلامية من جميع المضامين التمييزية والعنصرية ضد النساء.

جريدة الثورة

تصدرها رابطة العمل الشيوعي
الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي
زوروا مواقعنا الإلكترونية:

<http://www.marxist.com>

<http://www.marxy.com>

<http://www.attawajohalkaidi.com>